الفصل الثالث

- البُعد الإسلامى فى حرب التحرير الجزائرية .

obeikandl.com

البُعد الإسلامى
فى حرب التحرير الجزائرية

إذا كان الإسلاميون قد أقاموا البنية الأساسية لحرب التحرير الجزائرية وإعداد النفوس للثورة بعد أن أعادوا الهوية الإسلامية للشخصية الجزائرية ، فإنهم كانوا مرتكزا أيضا من مرتكزات الثورة التى انطلقت من الأرضية الإسلامية ، وليس معنى عدم مشاركة الإسلاميين فى السلطة أنهم لم يشاركوا فيها ، كما يردد « بن بيللا » أول حاكم للجزائر بعد الاستقلال ففى نـــدوة متلفزة قال ردًّا على سؤال للصحفى أندريه بوتار الصحفى الفرنسى فى مجلة الإكسبريس الفرنسية « رجـــال الدين لم يلعبوا دورًا مهمًّا فى نضال جبهة التحرير الوطنى ، بل لم يفعلوا شيئًا قط وأنهم رغـم أقوالكم أنهم شاركوا فى الحكومة أقول لكم : « إنهم حاربونا على مدى عـــام ونصف عام »[1] . وبالطبع فإن الأحداث والوثائق تكذب « بن بيللا » حتى إن « بوضياف » رئيس المجلس الحاكم فى الجزائر بعد الانقـــلاب على نتائج انتخابات ١٩٩١ ورفيق بن بيللا فى الثورة والسجن يكذبه حيث قال : « لقد نادت الحركات الثورية فى الجزائر من عبد القادر الجزائرى إلى حرب التحرير بالرجوع إلى الدين »[2] .

ويشير جان بول شارنيه العـالم الاستراتيجى الفرنسى إلى أهمية دور الدين فى حرب التحرير الجزائرية بقوله: «.. هناك دافع إسلامى لم يتجسد فى تنظيمات سياسية لكنه كان شاحنًا حيـًّا وبشكل عميق التجذر فى حركة التحرر الوطنى، وخاصة بما يتعلق بالطبقة الفلاحية ، ففى حرب التحرير الجزائرية قام الفلاحون فى الجبل بمساندة « جبهة التحرير الوطنى » فى تحقيق التحرر والاستقلال ، ولكن النضال بالنسبة لهؤلاء الفلاحين لم يكن يتموضع فى تحقيق الاستقلال بقدر ما كان ضرورة للتحرر من سيطرة مسيحية يمثلها الفرنسيون على شعب مسلم هو الشعب الجزائرى .

---

(١) بن بيللا نحو عالم جديد دار آسيا للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى . باريس ١٩٨٤ الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٤ ص ١٦٤ .

(٢) الأهرام ١٩٩٢/٣/٤ : حديث بوضياف للصحافة المصرية . أجراه هشام فهيم ص ٥ .

وإذا كان الدين مبعدًا عن الواجهة الخارجية لحركة التحرر العربى لأسباب أيديولوجية واستراتيجية سياسية تبرر تقديم الفعالية لهذه الحركات كفاعلية تسعى إلى تحقيق الاستقلال وليس إلى بناء دولة دينية ، هذا مع أن العامل الدينى كان موجودًا ضمنًا وبشكل عميق ، ويتحرك ضمن الديناميات البنيوية لحركة التحرر فى الوطن[1] .

ويشير الجنرال بوفر إلى دور الإسلام فى حركة التحرير الجزائرية « فى بداية الأمر لم يكن الثوريون سوى حفنة من الرجال ليس بحوزتهم سوى وسائط مضحكة وجابهوا فرنسا التى كانت قوتها تبدو فى تلك الفترة قوة ساحقة ، وبالإضافة إلى هذا كان الشعب الجزائرى لم ينضج بعد للثورة ومع هذا فقد قرر الثوار البدء فورًا بالعمل معتمدين على التقاليد الإسلامية » وهذا ما يؤكده أحد كبار الثوار وهو عباس لغرور « إننى أعرف أننا سنجابه العدو وأيدينا فارغة عمليا ، وليس لدينا إلا الإيمان الذى يعمر قلوبنا ، غير أن ما نعتمد عليه هو إشعال الفتيل المفجر للثورة ، وإننى على ثقة كاملة بأن الشعب الجزائرى بكامله سيتبع مسيرتنا على هذا الدرب ، ذلك لأن الله مع المجاهدين ومع القضية العادلة الله أكبر »[2] .

حتى أن بن بيللا لم يستطع إنكار العامل الدينى فى توجهه الثورى فهو يقول : « كان عمرى ثلاث أو أربع عشرة سنة عندما أقدم أحد المدرسين ، وكان مربيًا جيدًا ، وسبتيا ولكنه متعصب ، على النيل من معتقداتنا الدينية ، فقلت له إننا مازلنا صغارًا ، وأنه لا يحق له أن يفعل ذلك ، فرد علىّ قائلاً : إن النبى محمدًا كان مشعوذًا ، فى ذلك اليوم تحدد اختيارى ، لقد جرحت فى الصميم ، وبعد أربع سنوات مرت على ذلك الحادث أنضممت إلى « حزب الشعب الجزائرى » وناضلت فى صفوف الحركة الوطنية الجزائرية التى لا يمكن فهمها بمعزل عن بعدها الإسلامى .. »[3] .

بل إن بن بيللا قال عام ١٩٨٠ : إن الشعب الجزائرى يعتبر الثورة الإسلامية فى إيران امتدادًا طبيعيًا للفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ ، ولكل ما كان ينطوى عليه ذلك اليوم وأن تعلق الشعب الجزائرى بالثورة الإسلامية فى إيران هو تعلق عضوى ، فقد عانى

---

(١) د . علاء طاهر : الخصوصية الاستراتيجية للعالم العربى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ ص ١٧٥ – ص ١٧٦ .

(٢) محمد مورو . مصدر سبق ذكره ص ١٠٣ .

(٣) بن بيللا نحو عالم جديد . مصدر سبق ذكره ص ١٣٤ .

شعبنا الأمرين من ليل استعمارى طويل وسياسة استيطانية عملت على تقويض أقدس مقدسات وجودنا وأولها الإسلام ، ومنذ بداية الاحتلال مارس شعبنا تقاليد عريقة فى الكفاح من أجل التحرير توجت بثورة نوفمبر ١٩٥٤ وما رافقها من آلام ، كل ذلك جعل شعبنا أكثر تفهما للثورة الإيرانية من أى شعب مسلم آخر ، وهذا ما دفعه إلى التعلق بأهدافها أشد التعلق والاستعداد للدفاع عنها ، حتى إن أبناء شعبنا مصممون على الاستشهاد من أجل تلك الثورة إذا ما اقتضت الضرورة .[١] .

وهذه الشهادة من بن بيللا تنفى ما قاله عن العلماء وتؤكد إسلامية ثورة نوفمبر ١٩٥٤ على الرغم من أنه هو الذى انحرف بها عن جادة الصواب وتسليمها لليساريين ، ربما فى محاولة منه لإبعاد الدين عن الواجهة الخارجية طبقًا لمقولة الاستراتيجى الفرنسى « جان بول شارنيه » بأن الهدف هو الاستقلال وليس إقامة دولة دينية حتى لا يعترض العالم الصليبى ويمنع ذلك .

وعندما أعلنت جبهة التحرير عن مبادئها اتضحت شخصيتها العربية الإسلامية واستغلت عامل الدين بهدف توحيد الصفوف من ورائها ، وتمثلت المظاهر الإسلامية فى معظم تحركاتها وخطاباتها .

فالثورة اتخذت كلمتى « خالد ، عقبة » سرًا لها مما يدل على تأصل العقيدة الإسلامية فى نفوس مقاتلى الجبهة ، والذى كان يطلق لقب مجاهد على كل فرد منها كما استخدمت الثورة الكلمات الإسلامية للاتصال مثل : « الدين والعمل الله أكبر ، الله محمد ، الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، النظام والعمل ، خالد ، عقبة الجهاد ، والإخلاص ، محمد على ، السيف ، القلم ، الحرب ، النصر وغيرها من الكلمات[٢] .

وبرز الطابع الإسلامى للثورة فى افتتاح أغلب جلساتها باسم : الله ، والحمد لله ، ثم باسم جيش وجبهة التحرير ، فى إنشاء مصلحة قضائية دينية تابعة لجيش التحرير فى أغلب الولايات ، وعلى كل المستويات ، وكانت تقوم بحل المشاكل الدينية والاجتماعية فى أوساط الشعب ، وتنظم التعليم العربى وتراقبه ، وتقوم بالوعظ الدينى والتوجيه الثورى »[٣] .

---

(١) المصدر السابق ص ٨ .
(٢) د . نبيل أحمد بلاسى . مصدر سبق ذكره ص ١٦٤ .
(٣) المصدر السابق .

وتمثلت مظاهر الجهاد الإسلامى أيضًا فى أنه عند قدوم مواطن للالتحاق فى جيش التحرير ، فإنه كان يقول « أنا قادم للجهاد الذى كان يتسابق إليه المجاهدون الذين كانوا يبغون الجنة ، كما راعت القيادة العسكرية أن يؤدى جنودها الصلاة ، ونعت بعض القادة الجنود الذين يتخلفون عن الصلاة « بأنهم مجاهدون ناقصو الإيمان »[1] .

وعندما تقرر عمل العلم الجزائرى عرفته الجبهة وكان ذلك عام ١٩٥٨ بأن هناك دلالات خلف ألوانه : فلونه الأبيض يعبر عن السلم والأمن ، والأخضر يعبر عن الرزق ، والأحمر يعبر عن الدم ، أما الهلال فيرمز إلى القومية العربية ، أما النجمة فهى تشير إلى أركان الإسلام الخمسة[2] .

وفسر القادة الجزائريون حرب التحرير بأنها جهادٌ إسلامىٌ ضد الفرنسيين عن الوطن وعن المجتمع الجزائرى وعن الأخلاق الجزائرية التى هى أخلاق المجتمع الإسلامى التى ذكرت فى الشريعة الإسلامية ، ومن هنا كان التأييد الشعبى لها يزداد لاسيما بعد تطهير الخونة المندسين بين أوساط الشعب ، والتى أصدرت جمعية العلماء فتوى بكفر المتعاونين مع الاستعمار ، والرد على دعاية الاستعمار وتصوير الحرب التى يقوم بها جيش وجبهة التحرير على أنها حركة جهاد إسلامى .

وعندما طالب المقيم العام الفرنسى « روبرت لاكوست » من الشيخ العربى التبسى صاحب التأثير على الشعب أن يطالب الجماهير بالهدوء وعدم المشاركة فى الثورة رفض التبسى قائلاً : « إننى صادق منذ نعومة أظفارى وأنا الآن شيخ وتريدون منى أن أكذب على الشعب ، كلا لن أتحدث ، كلا لن أتحدث ، وبعد اعتقال الزعماء (بن بيللا ، وبوضياف ، وحسين آيات ، ومحمد خيضر ...) طالبه لاكوست – كمفوض من قبل حكومة جى موليه – بالتفاوض معه لإيجاد حل للقضية الجزائرية ، قال التبسى له : مفتاح الحل بأيديكم أنتم ، مما أدى إلى وضعه تحت الإقامة الجبرية بين منزله فى حى بلكور بالجزائر ، وعمله فى جمعية العلماء ، ولما كان الشيخ التبسى باعتباره رئيسًا لجمعية العلماء – بعد رحيل البشير الإبراهيمى إلى الشرق – فقد ألف السجن لأنه كان من أنصار الكفاح المسلح مع فرنسا الذى قال عنها : « من عاش فليعش بعداوة فرنسا

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

ومن مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر » ، وقد رفض التبسى عرض الأزهر لإنقاذه من المصير السيئ الذى يزحف إليه حتى اختطافه على يد المظليين الفرنسيين فى الليلة الفاصلة بين ٤ ، ٥ أبريل سنة ١٩٥٧[1] .

ولم يقتصر دور جمعية العلماء على الانخراط فى الجبهة ، والعمل الداخلى فقط بل إنهم قاموا بالدعاية للثورة خارجيًا من خلال أعضائها بالخارج ، واتخذوا من مصر قاعدة لعملهم ، فالشيخ المدنى ، والشيخ الفسيرى ، وعبد الحميد المهرى ، والبشير الإبراهيمى انطلقوا فى البلاد العربية ، يدعون للقضية ويجمعون السلاح ويمثلون الجزائر رسميًا من خلال توفيق المدنى كمندوب دائم للجزائر فى الجامعة العربية بالإضافة إلى عقد الندوات فى المنتديات والجامعات للتعريف بالقضية وكان هذا دور على جانب كبير من الأهمية حيث وفروا للثورة مظلة من الإعلام الخارجى فى الوقت الذى لعبوا فيه دورًا هامًا فى تعميق الوعى السياسى لدى جنود جبهة التحرير ، وكان أحمد حمانى نائب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين يتولى هذا الأمر .

وإذا نظرنا إلى تأثير العلماء على الشعب أثناء الثورة فلنقلب صفحات كتاب مولود فرعون : « يوميات معركة الجزائر » : عندما تقرر الاضراب عن التدخين والخمور » فى ١٢ نوفمبر ١٩٥٥ م نفذ الأهالى الإضراب فى نظام ودقة ، والفرنسيون غاضبون لأن أبناء القبائل كفوا عن الذهاب إلى المقاهى وتناول شرابهم جهادًا . إن مجرى الأمور الطبيعى التقليدى ، يرون أن شبح الإفلاس سوف ينتصر فأوامر الثوار أصبحت بمثابة الأحكام النافذة ، فأخليت رفوف الدكاكين من السجائر ، وأقلع المدخنون عن التدخين وكرهوه حتى فى منازلهم حيث لا رقيب ولا حسيب ، وهجرت المقاهى الفرنسية بالإجماع ، ولم يعد يشاهد فيها أو فى الشوارع سكير ، وأصبح محترفو الشراب يعللون أنفسهم بأن الله سيؤتيهم القوة على الاحتمال ، وهكذا فى الوقت الذى يطلب فيه هؤلاء الفلاحون القوة والعون من الله ، نجده سبحانه وتعالى يقذف الرعب فى قلوب الفرنسيين .

ويقول مولود فى مذكراته يوم ٢ فبراير « بل إخوتنا ، مسلمون حقيقيون ، وحينما جمعونا فى المعصرة كانت أسنان الوجهاء تصطك خوفًا ، غير أن رئيس الجماعة الثورية كان يدعو إلى الاعجاب حقًا ، فبدأ بتلاوة آى الذكر الحكيم مبتدئا بفاتحة الكتاب فى

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٨ .

لغة عربية فصيحة سليمة ، وبنغم كأنه السحر وبإيمان لا يقبل الشك ، ولم نكن فى حاجة إلى فهم معانى الآيات ، بل اكتفينا بالأثر المباشر والجو العجيب الذى انجذبنا إليه انجذابا .

« إن هذه الفئة المؤمنة تجبر الإنسان على احترامها ، ومنذ حضوا الناس على الإقلاع عن السعوط والدخان ولعب الميسر والخمر ، تلك الأمور التى ينهى عنها الإسلام ، وهم مسلمون ، أدركنا أن هذا الدين الحنيف يعيد سيرته الأولى على أرض الجزائر الخضراء ، هل أنت مسلم ؟ إذن فازجر الشيطان واطرده من كل مكان ومن كل قلب ، وليبحث له عن مأوى فى أى مكان آخر ، هل تذهب إلى المقهى ؟ اشرب فنجان قهوتك وتحدث مع الأصدقاء ثم اذهب بعد ذلك إلى بيتك ، لقد جعلك الله مسلمًا فهل يصح أن تستمر فى معصيته وتجاهله ؟ لا . لن يسمح لك بذلك أبدًا ، أواه لقد سررنا من هذا الكلام الجاد المؤمن ، حتى النكات بدت لنا مبتذلة ، حتى أبناء « تيزى هيبل » الذين كانوا أشد الناس فسادًا فى الأرض اهتدوا سواء السبيل وعاد الإيمان إلى قلوبهم ، واختاروا مؤذنًا يؤذن للصلاة ، وبدءوا يذهبون إلى المسجد جماعات بانتظام ، يالعظمة الله ! إنه إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ؟ وها هو سبحانه يؤلف بين القلوب فى طرفة عين ويجمع المشتتين تحت سقف حظيرته المقدسة الذى أصبح يستظل بظله مضيعون عادوا من فرنسا من أجل الكفاح المقدس وليدفن شهداؤهم فى جبانه تيزى – هيبل مسلمين موحدين مؤمنين بالله ورسله ، لقد قتل بعض هؤلاء العائدين بأيدى إخوتهم المؤمنين ، كذلك الذى أصر على التدخين والآخر الذى أصر على شرب الخمر ، ولما كان هذان الشهيدان ابنى عمومة ويتميان لأسرة واحدة هى أسرتى « فإننا نشعر بالأسى لأنهما خالفا ما أقر به قادتنا المؤمنون الصادقون »[1] .

وهذه المقتطفات من « يوميات معركة الجزائر » لمولود فرعون تشير إلى قوة الإسلاميين المعنوية وتأثير الإسلام فى تغير سلوك المنحرفين من الشعب الجزائرى ، وهو ما يؤكد دوره الرئيسى فى تحرير الجزائر وأهميته فى حياة الجزائريين وتكوينهم النفسى والوجدانى ، ومثال آخر يورده بسام العسيلى فى كتابه جيش التحرير الوطنى الجزائرى عن دور الإسلام فى ضبط المجاهدين ، وكيف حاولت فرنسا استخدامه أيضًا ، فمنذ نشوب الثورة ،

---

(١) مولود فرعون : يوميات معركة الجزائر . ترجمة عبد العاطى جلال . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ ص ٩ ، ص ١٠ ، ص ٢٨ ، ص ٦٩ .

كان جميع الحكام العامين الفرنسيين فى الجزائر ، تواقين دائمًا ، إلى إظهار تأييد جزائرى إسلامى إلى جانبهم ، وضمن هذا الإطار عمل الحاكم العام « سوستيل » على تنظيم جماعات مسلحة من مسلمى القبائل (البربر) تحت ستار (الدفاع عن النفس) لتصدى لمقاومة جيش التحرير (سنة ١٩٥٥) ، وكان بين الجزائريين الذين طلبت إليهم السلطات الفرنسية ، الانضمام إلى هذه الجماعات ، عدد غير قليل من مجاهدى جيش التحرير ، وانضموا إلى المشروع الجديد بعد الحصول على الموافقة من قائدهم . وكانت المشكلة الأولى التى صادفتهم عندما صدر الأمر لهذه الجماعات بعد تدريبها بالخروج إلى الجبال لقتال جيش التحرير الوطنى ، وعقد قادة القبائل مؤتمرًا سريًا لمناقشة الموقف ، وقرروا تمثيل معارك صورية مع إخوانهم المجاهدين ، وأن يتركوا على أرض المعركة (جثث الخونة) الذين يتم إعدامهم عادة .

وطبق هذا النظام بصورة دقيقة عدة أشهر ، كان فيها السلاح والمدافع والذخيرة ، تتسرب كلها من هذه المجموعات إلى المجاهدين فى منطقة القبائل ، ومن السخرية حقًا – بالكفاءة الفرنسية – ألا يكتشف القادة الاستعماريون سر هذه العملية ، إلا عندما أعلنها مباشرة القائد « عبانه » أبرز قادة منطقة القبائل ، ولكن قبل أن يسمح « عبانه » لنفسه بكشف السر ، وقبل أن يتمكن الفرنسيون من القيام بعملية انتقامية ضد هذه الجماعات ، كان أفرادها قد قتلوا ضباطهم الفرنسيين ، وعادوا إلى الالتحاق بقواعدهم لخوض الصراع مع إخوانهم المجاهدين ،وحملت هذه العملية اسم الطائر الأزرق[1] وبذلك يتضح أنه رغم جهد فرنسا طوال ١٣٢ عامًا على خلق هوة بين مسلمى الجزائر (عربهم وبربرهم) كانت الوحدة الإسلامية تحت راية الجهاد فى سبيل الله هى العامل الأقوى من كل محاولات التجزئة ، والفضل يرجع لجمعية العلماء فى تحقيق هذه الوحدة .

الجيش يبلور المبادئ الإسلامية

واستطاعت الثورة الجزائرية أن تتقدم نحو النصر ، بسبب ذلك التجاوب العميق بين الرأى الموجه من اليوم الأول للثورة ،وذلك الطابع القوى من الخلق الفاضل ، السلوك المثالى ، لقد تطهر الشعب الجزائرى من أدرانه بعد سنوات الاحتلال الفرنسى الغاشم ، وبعدما أنزله الاستعمار من محن ونوائب بهذا الشعب الذى عاد للظهور ، وهو يحمل كل

(١) بسام العسلى : جيش التحرير الوطنى الجزائرى . دار النفائس . بيروت .الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص١٠٧ .

فضائله الدينية والأخلاقياته التى بقيت كامنة طوال أكثر من قرن من الزمن ، تنتظر الفرصة المناسبة وتتحين الظرف الملائم الذى أوجدته ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ ، فكانت هى الإيذان لتلك القيم بالظهور ، على طبيعتها ، فأدهشت العالم .

كان جيش التحرير الوطنى هو التنظيم الذى مكن تلك القيم التى كانت كامنة بالظهور وهو الذى آلت إليه تلك القيم ، فإعطاها النظام الملائم ، وفى مؤتمر ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ أعطى نظامًا موحدًا لجيش التحرير وسن قوانين لا يتعداها المجاهد ، ويرجع عليها جميع القادة ، فصدر قرار تحريم الإعدام ذبحًا ،وتحريم جميع أنواع التمثيل بالشخص ، أو التشوية بخلقته ، كما نص على إعدام كل من يعتدى على عرض فتاة ، أو امرأة وذلك بعد محاكمة شرعية قانونية ، يتمكن فيها المتهم من الدفاع عن نفسه ، وأمر بالعناية بالأسرى ، وبذلك تكون الثورة قد أقامت الدليل على أنه تمثل القيم الأخلاقية للشعب الجزائرى وهذا هو ما مكن جيش التحرير من إحراز انتصاراته بالرغم من قلة عدده[1] وبالنظر إلى القانون الأساسى لجيش التحرير الوطنى الجزائرى الذى تقرر فى ١٢ أبريل ١٩٥٨ نجد أنه مستنبط من المبادئ الإسلامية فهو ينص على أن من واجب المجاهد أن يحترم نفسه ، وأول ما يحترم به المجاهد نفسه هو النظافة البدنية .وعليه أن يمحو من نفسه كل شعور أنانى ، كما يجب أن يركز فيها بصورة عالية وراسخة . صوت الضمير والإحساس بالواجب ، ويجب ألا يتساهل المجاهد مع نفسه ، بل عليه أن يحاسبها كل يوم فى كل شىء على المجاهد أن يرفض كل اعتبار يؤدى إلى الانفعال ، أو التأثير نتيجة حب الذات ، بل عليه أن يكون طاهرًا وصريحًا ومخلصًا ،ويطلب إلى كل مجاهد القيام بشعائره الدينية الإسلامية ، كما يطلب منه أن يحب رؤساءه ورفاقه وسلاحه .وعليه أن يكون مثالاً للسيرة الحميدة والشجاعة لجميع إخوانه .

وقرر القانون فى فصله الثالث عقوبات قصاص على الأخطاء المرتكبة إلى ٣ درجات .

أولاً : الأخطاء البسيطة ، وهى الطبع الردىء ، عدم احترام الرفيق ، التسرع، تأخير العمل ، أو إهماله ، القذارة ، التكاسل ، الخصام ، اللباس غير النظامى ، عدم الاعتناء

(١) المصدر السابق ص ١٢٤ ، ص ١٢٦ نقلا عن مجلة المجاهد ، العدد ٩ (٢٠ أوت – آب ١٩٥٧) .

بالمواد المحفوظة ، وعقوبة مرتكبى هذه الأخطاء الإنذار وتسخير المخطئ للقيام بأعمال متعبة ،وتعيينه للحراسة لوقت إضافى ، اللوم ، وقطع المرتب .

ثانيا : الأخطاء الخطيرة وحددها القانون فى : محاولة الاغتيال ، العبث بحفظ النظام تصنيع السلاح ، إفساد الذخائر عمدًا ، الغش فى المحاسبات ، اختلاس الأموال ، التزوير ، تضييع رسالة أو عدم تسليمها ، التأخير فى تنفيذ الأوامر ، السرقة ،التعدى على السلم النظامى العسكرى ، والتغيب عن الاجتماع ، السكر ، الحط العلنى من جيش التحرير أو من القادة ، التجاوز فى السلطة ، الامتناع عن أداء التحية التنقل بدون إذن ، وعقوبة هذه الأخطاء تكون فى نزع السلاح أو نقل الجندى إلغاء الإجازات ، خفض الرتبة ، نزع الرتب كلها .

ثالثًا : الأخطاء الفاحشة فهى القتل المتعمد ، الفرار من صفوف الجيش ، التواطؤ مع العدو والخيانة ،تعمد كشف السر ، بث روح الهزيمة ، الانشقاق والتألب ، نشر الدعاية الطائفية ، شق عصا الطاعة ، الاعتداء على المحرمات ، اللواط ، الزنا ، تبذير الأموال ، إخفاء أرزاق الثورة ، التخلى عن المركز ، الجبن أمام العدو ، العمل على حط معنويات الجيش ، يقدم مرتكب هذه الأخطاء إلى المحاكم العسكرية للاقتصاص منه بعقوبات تبتدئ من السجن ونزع الرتبة العسكرية ، وخلع الجنسية الوطنية إلى حكم الإعدام : وتنظر محكمة الولاية فى جريمة الزنا والاعتداء على المحرمات مهما كانت رتبة المتهم[1] ومن المبادئ العشرة لجيش التحرير الوطنى مراعاة المبادئ الإسلامية والقوانين الدولية فى تحطيم قوات العدو ، تقوية روح الأخوة والتضحية والعمل المشترك فى نفوس المجاهدين .

وهذه المقتطفات من قانون جيش التحرير الجزائرى نرى أنها راعت كل المبادئ الإسلامية مما يعنى أن الإسلام كان هو المحرك الأول للثورة ، لذا كا من الصعب تجاهله ، بل كان يجب ترجمته عمليا ، والدفاع عنه وحمل لواء القيم الأخلاقية والدينية .

وعلى الرغم مما تقدم فإن محاولات إبعاد الإسلاميين عن المراكز القيادية فى الثورة الجزائرية ، قد بدأت منذ عام ١٩٥٤ بعد إعلانها مباشرة ويتضح ذلك من تدخل مصر فى هذه العملية خصوصًا وأنها كانت قد خرجت لتوها من معركة مع الإخوان المسلمين ،

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٦ – ص ٢٢٣ .

ويتضح ذلك من كتاب فتحى الديب . عبد الناصر والثورة الجزائرية حيث كان ضابط اتصال عبد الناصر بالثورة .

ويقول حول مساعيه لتوحيد الأحزاب الجزائرية فى جبهة واحدة : « إنه تم الاجتماع الأول فى بيته ، وحضره البشير الإبراهيمى – رئيس جمعية العلماء ، وأحمد بيومى ممثل حزب البيان ، ومحمد خيضو ، وأحمد ميزغنه ، وحسين الأحول ممثلو مجموعة اللجنة المركزية وتم تبادل الآراء وانتهى النقاش الذى اتخذ طابع الحدة لإصرار الشيخ الإبراهيمى على حضور الفضيل الورثلانى غير الموثوق به (يُعتقد أن السبب الذى لم يذكره الديب أن سبب عدم الثقة يرجع لعلاقته القوية بالإخوان المسلمين أعداء الثورة المصرية) وتم الاجتماع الثانى يوم ٢٢ يناير بمنزل فتحى الديب مع البشير الإبراهيمى ٤ ساعات دون التوصل إلى نتيجة لإصرار الإبراهيمى على ممارسة حقه فى السيطرة على الطلبة الجزائريين (وهو ما لم يقبله الديب) تفاديًا لممارسة الضغط المادى على الطلبة لاتخاذهم مواقف تضر بقضية الثورة الجزائرية ، وبالطبع فإن الديب لم يشأ أن يذكر حقيقة رفضه لسيطرة الإبراهيمى على الطلبة الذين كانوا فى الأصل تلاميذ مدارس جمعية العلماء التى ترسلهم فى بعثات للأزهر والزيتونة والقرويين ، كما أوضحنا سالفًا . والديب يريد أن يسلبه القوة التى تتمثل فى الطلبة مستقبل الأمة لإعادة تشكيلها وفقًا للرؤية المصرية وبالتالى دعمًا لبن بيللا ، وتم الانتهاء من هذا الاجتماع بإعطاء مهلة عدة أيام ليقنع البشير معاونيه بأهمية الجبهة .

فى مساء يوم ١٩٥٥/٢/١٧ تم الاجتماع الموسع بمنزل فتحى الديب وحضره الشيخ البشير الإبراهيمى رئيس جمعية العلماء ، والفضيل الورتلانى عضو الجمعية، وأحمد ميرغنه ممثلا لمصالى الحاج ، والشاذلى المكى عضو مجموعة مصالى، وأحمد بيوض ممثلاً لفرحات عباس رئيس حزب البيان وحسين الأحوال ممثلاً لمجموعة اللجنة المركزية المنشقة، ومحمد يزيد عن نفس المجموعة وكل من أحمد بن بيللا ومحمد خضير، وحسين آيات أحمد ممثلين لجيش التحرير الجزائرى.

وبعد نقاش طويل مثمر اتفق الجميع على توقيع ميثاق جبهة تحرير الجزائر وتم وضع اللائحة الداخلية لجبهة التحرير ، والتى تم إقرارها والتوقيع عليها مساء يوم ١٩٥٥/٢/١٨٤[1].

---

(١) فتحى الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر . دار المستقبل العربى . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٩٠ ص ٧٥ ، ص ٦٧ .

وتم الاتفاق بين أحمد بن بيللا ، وقادة الكفاح بالداخل على خروج قادة حزب البيان وجمعية العلماء إلى القاهرة ، ليتم إعلانهما لحل تنظيمهما والانضمام لجبهة التحرير الجزائرية فى مظاهرة دعائية ، ولكن تكون جميع الأحزاب والهيئات الجزائرية قد انخرطت فى جبهة التحرير باعتبارها الجبهة السياسية الوحيدة الممثلة للشعب الجزائرى والناطقة بلسان جيش التحرير الجزائرى .

وبدأ توافد الإخوة الجزائريين ليصل فى نهاية ١٩٥٦ فرحات عباس رئيس حزب البيان ، والدكتور أحمد فريس ، وأعقبهم وصول الشيخ أحمد توفيق المدنى أمين عام جمعية العلماء والشيخ العباس عضو الجمعية ولحقهم المحامى عبد الرحمن كيوان عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب والمحامى ساطور وبو منجل من أعضاء حزب البيان والنواب بالمجلس الجزائرى .

وفى ١٩٥٦/٤/٢٥ أعلن فرحات عباس ومعه رؤساء جمعية العلماء لجزائريين فى مؤتمر صحفى بسميراميس الانضمام بعد حل تنظيماتهم إلى جبهة التحرير الجزائرى ومطالبتهم بضرورة الحصول على الاستقلال التام ، الأمر الذى كان له أثره البالغ على السلطات الفرنسية واعتبار ذلك نصرًا عزيزًا للثورة الجزائرية وقيادة جيش التحرير[١] .

وهكذا يتضح أن جمعية العلماء شاركت بفاعلية فى تكوين جبهة التحرير ، وتنازلت من أجل الاستقلال عن هيكلها وقيادتها ، وانصهرت فى الجبهة مما يؤكد نقاء سريرتها وحسن نيتها وعدم تغطرسها ، لتولى القيادة كما حدث من بعض الأحزاب والقوى السياسية .

وبدأ الصراع الداخلى منذ مؤتمر ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ الذى عقد بوادى الصمام واقتصر من حضروا هذا الاجتماع على قادة ولايات الجزائر ، والقبائل الصغرى والكبرى وممثلين عن شمال قسنطينة ، وتخلف عن الحضور باقى قادة أو ممثلين عن وهران والأوراس وسوق أهراس ، والصحراء ولم يحضر ممثل للخارج ، ونجح عبان رمضان فى فرض رأيه على المؤتمرين ، وتجاهلت القرارات التى اتخذها المؤتمر حول مستقبل الجزائر عروبتها

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠ .

وارتباطها بالدين ، وشكل لجنة عليا للإشراف على شئون الكفاح وسماها لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E) ووضع نفسه على رأسها رغم ثلاثية تشكيلها ومعه كريم بلقاسم ويوسف بن خده وتم تعيين محمد الأمين دباغين ليمثل الثورة الجزائرية بدلاً من أحمد ابن بيللا ثم توالت التصفيات الجسدية داخل الثورة ، ونجحت فرنسا فى الاستيلاء على شحنة أسلحة من مصر مرسلة للجزائر على ظهر الباخرة آتوسى يوم ١٢ أكتوبر ١٩٥٦ بالإضافة إلى حادث اختطاف طائرة أحمد بن بيللا ، ومحمد خيضر ، ومحمد بوضياف ، وحسين آيات بعد أربعة أيام فقط من الاستيلاء على الباخرة . وطالب فتحى الديب أحمد توفيق المدنى (علماء) بإعداد بيان ونداء باسم جبهة التحرير الوطنى الجزائرى وجيش التحرير ، لتقوم إذاعة صوت العرب بإذاعته لشحن همم وعزائم الشعب الجزائرى ، وتفادى ردود الفعل السلبية للحادث ، كما أبلغ توفيق المدنى مجلس الجامعة العربية بالحادث ، وبأنه لا يؤثر على سير الكفاح ، ومطالبة الحكومات العربية بإعلان تضامنها فى تأييد الكفاح الجزائرى ، واتخاذ قرار بتحميل فرنسا مسئولية وقوع أى أذى على المقبوض عليهم[1] .

وهنا يتضح أن الصراع على السطلة لم يخل من الموقف تجاه الإسلام فعيان رمضان أراد الانحراف بالثورة ، كما رأينا ولم يهتم بعروبة الجزائر أو إسلامها وحاول استغلال اختطاف طائرة بن بيللا ورفاقه ليسيطر على مسيرة الثورة ، فعين عمر عمران ممثلا للجنة التنسيق والتنفيذ بالخارج ليحل محل بن بيللا وليتولى مسئولياته فى القاهرة وعين ممثلين آخرين .

وإذا قارنا موقف أحمد توفيق المدنى الذى التزم بعهد الثورة ، سنجد البون شاسعًا بين موقفه وموقف الآخرين ، وهو ما يحسب لجمعية العلماء ، وفى محاولة لاستعادة الثورة ثم اجتماع يوم ١٥ ديسمبر ١٩٥٦ لقادة جيش التحرير لمناطق سوق أهراس (عمر بوقلات) سدراته (عبد الله بو الهوشات) الأوراس (مسعود بن عيسى وعمر بو العيد) خنشله (الباهى شوشان) تبسه (الأزهر الشريطى) ، ومعهم أركان حرب تلك المناطق واستعرضوا قرارات مؤتمر وادى الصمام المنعقد فى ١٩٥٦/٨/٢٠ ، واستقر رأيهم على عدم الاعتراف بتلك القرارات التى تخالف

(١) المصدر السابق ص ٢٣٤ ، ص ٢٤٤ ، ص ٢٤٧ ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٨ ، ص ٢٦٨ ، ص ٢٧٠ .

الاتجاه الأول للثورة ، بالاضافة إلى إعطائها السلطة للسياسيين على العسكريين مما يتنافى وروح الثورة ، إلى جانب عدم النص بأن الجزائر دولة إسلامية عربية ، تطهير المنطقة بتونس وذلك بإبعاد إبراهيم مزهودى وعمار بن عودة من تونس فورًا ، تعهد منطقتا سوق أهراس وسدراته بتوصيل سلاح منطقة شمال قسنطينة والمناطق الغربية إلى حدودها ، تجديد الثقة بالمناضل على محساس للقيام بجميع أعمال الجيش العسكرية والسياسية فى الخارج ، وتمثيل جيش التحرير تمثيلاً كاملاً ، وتم توقيع هذه القرارات وإيصالها إلى القيادة المصرية لقطع الطريق على محاولات لجنة التنسيق والتنفيذ التى تهدف للإطاحة بكافة العناصر المؤيدة لبن بيللا[1] .

وعموما فقد حسمت المعركة بين الطرفين لصالح الجزائر المسلمة ، والعربية ، وقامت مجموعة عبان رمضان بتصفية بعضها جسديًا وقام كريم بلقاسم باغتيال عبان رمضان نفسه .

وبسبب لمشاكل السياسية الداخلية والخارجية تقرر الاتفاق على إعلان تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة يوم ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ ، وقد وافق مجلس الثورة بالاجماع على تشكيلها برئاسة فرحات عباس وتم تعيين توفيق المدنى عضو جمعية العلماء . وزيرًا للتربية والتعليم ، وإن كانت قطاعات الشعب فى الداخل والخارج قد أعلنت سخطها على الحكومة ، وحدث عصيان وفوضى فى الجبهة الشرقية لإبعاد بعض القادة ، ومحاولة القيام بانقلاب عسكرى بهدف القبض على بعض الوزراء العسكريين من أعضاء الحكومة الجزائرية : وهم كريم بلقاسم ، و محمود الشريف ، وعبد الله بن طوبال ، وعبد الحفيظ بوصوف وإدخالهم الجزائر لمحاكمتهم عسكريًا ، بمعرفة جيش التحرير لارتكابهم جنايات الانحراف عن مبادئ الثورة ، وإبعادهم القادة الوطنيين الذين ساهموا فى الثورة ، وإحلال عناصر مشبوهة وغير ذلك من التهم كالديكتاتورية والخضوع لبورقيبة ، واتجاههم للتفاوض مع فرنسا ، واتخاذهم لقرارات خطيرة تمس مستقبل الجزائر دون الرجوع لأعضاء المؤتمر الوطنى للثورة الجزائرية ، وفرضهم لشخصيات مكروهة من الشعب وجيش التحرير فى المراكز الحساسة دون مراعاة لشعور القادة والجيش والشعب داخل الجزائر وهم : فرحات عباس ومحمدى السعيد ، والقومندان أدير ، ومحمود الشريف وذلك بالرغم

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩١ .

مما هو معروف عن هؤلاء من خيانتهم للثورة ، ولكن اكتشاف محمود الشريف للانقلاب أدى إلى طلبه من بورقيبة أن يضع تحت تصرف كريم بلقاسم القوة البوليسية اللازمة للقبض على مدبرى الانقلاب ، وتمكن من القبض على ٢٨ منهم وهرب ثلاثة فأعلن المجاهدون العصيان المسلح إلى أن يتم الإفراج عن القادة المقبوض عليهم ، كما تأزمت العلاقة بين مصر والحكومة الجزائرية عام ١٩٥٩[١] .

وعقد المؤتمر القومى للثورة الجزائرية فى أوائل شهر يناير ١٩٦٠ بطرابلس ، وحدثت الصراعات المعتادة بين تكتلات الثورة ، وخلال دورة اجتماع المجلس ظهرت أربع كتل إحداها لكريم بلقاسم وتضم ١٣ عضوا ، والثانية لفرحات عباس وتضم بعد انضمام مجموعة العلماء إليه ٥ أعضاء ، و كتلة اللجنة المركزية وتضم ٨ أعضاء ، أما الكتلة الأقوى فكانت لبوصوف ، وبن طوبال وضمت ١٧ عضوا ، ولعبت كتلة فرحات رغم ضعفها الدور الرئيسى فى احتفاظه برئاسة الحكومة بعد انضمامه لكتلة بوصوف ، ضد كريم بلقاسم وإستغلاله لنظرة فرنسا إليه كعنصر يمكن التفاهم معه فى إقناع أعضاء المجلس القوى لإبقائه على رأس الحكومة التى خرج منها المدنى الذى بقى ممثلا للحكومة بالقاهرة[٢] .

وبسبب تدهور الأحوال الاقتصادية اضطر ديجول إلى الرضوخ لمطالب الثورة وقبول التفاوض مع الحكومة الجزائرية بمدينة إفيان فى أواخر مايو ١٩٦١ وتم توقيع اتفاق الاستقلال يوم ١٩٦٢/٢/٢٨ ، وتم الإفراج عن بن بيللا ورفاقه ، وتم تهريب القادة الجزائريين من الرباط إلى القاهرة ، وتخلف عن الحضور بوضياف الذى رأى أن القاهرة تفضل بن بيللا عليه ، وكان عيد الاستقلال الجزائرى فى أول نوفمبر ١٩٦٢ .

ويلاحظ هنا أن الخط الإسلامى بدأ يضعف فى الصفوف القيادية لأسباب متعددة منها أن الإسلاميين كانوا منخرطين فى صفوف الجهاد فى الداخل ، كما أن الظروف الدولية والإقليمية لم تدعم قوتهم داخل القيادة الجزائرية حيث كانت كل من مصر ، وليبيا ، وتونس ، والمغرب ، وحتى فرنسا تدعم مجموعات داخل قيادة الثورة ، وبالتالى لم يرد التيار الإسلامى إثارة المشاكل الجانبية لأن هدفه المركزى كان تحرير

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠٥ ، ص ٤٠٦ ، ص ٤٠٨ ، ص ٤١٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٦١ ، ص ٤٦٢ ، ص ٤٦٦ ، ص ٤٧٣ .

الجزائر لا الوصول إلى السلطة لأنه يعتقد أن السلطة الحقيقية هى التأثير الروحى على الجماهير وهو بتلك النظرة يكون له السلطة على الجماهير التى ظل يشكل وجدانها منذ عام ١٩٣١ ، ويمكن القول : إن الضربة الرئيسية التى سددت للتوجه الإسلامى فى الثورة حدثت فى الاجتماع الثالث للمجلس الوطنى للثورة الجزائرية عام ١٩٦١ حيث صاغ برنامج طرابلس محمد حربى ، وهو ماركسى ، ومصطفى الأشرف وهو أستاذ سابق فى جامعة السربون ، ومحمد يزيد ، وهو مركزى سابق وأكد البرنامج بأنه ينبغى تخليص الفلسفة الجديدة من « النزعة الذاتية » و « النزعة الأخلاقية » ، التى هى اتجاه مثالى وطفولى ، يريد أن يغير المجتمع وأن يحل مشكلاته بمساعدة القيم الأخلاقية وحدها ، بالاضافة إلى هذا لابد من وضع « ثقافة وطنية ثورية وعلمية » ويشكل التركيز على الجانب العلمى للثقافة هجومًا مباشرًا على النزعة الأخلاقية البورجوازية الصغيرة ، أى عادة استخدام الإسلام لأغراض ديماجوجية من أجل تحاشى المشكلات الحقيقية ، إن الإسلام بالنسبة إلينا المتحرر من كل البدع والخرافات التى قيدته أو لطخته ، ينبغى أن يظهر ليس فقط فى الدين كدين فحسب ، بل أيضًا فى هذين المجالين الحيويين :الثقافة والشخصية ، والواقع أنه بعيد عن بقايا الإقطاع الإدارى » فإن أولئك المنخرطين فى « الكهنوتية » مدانون بوصفهم « أدنابا » للاستعماريين[1] وهنا تتضح ملامح مؤامرة إخراج الإسلاميين من القيادة والاكتفاء به فى المجال التعبدى والثقافى فقط ، بالإضافة إلى بدء عملية تشهير بالقيادات الإسلامية ، وترك الأمر مفتوحًا ، فلا أحد يعرف هل يقصد البرنامج رجال الطرق الصوفية أو جمعية العلماء التى تم مصادرة جهودها فى هذا البرنامج ولكنه فى جميع الأحوال كان بداية النهاية لتيار الإسلاميين السياسى وإنذارًا له كى يتراجع وهذا ماسنراه فى الفصل المقبل .

فالثورة عندما قامت طالبت فى ندائها الأول بإعادة الدولة الجزائرية التى سبق أن احتلها الفرنسيون إلى إطار المبادئ الإسلامية باعتبار الجزائر مسلمة وتوحيد أقطار الشمال الأفريقى داخل الإطار العربى الإسلامى ، إلا أنها عندما اقتربت من تحقيق الانتصار بدأت ترى أن الإسلام هو اتجاه مثالى وطفولى ويجب ألا يزيد على جوانبه

---

(١) مغنية الأزرق . مصدر سبق ذكره ص ١٤١ .

التعبدية والثقافة ، وبالطبع فهذا الكلام كان لا يعبر عن الفرد الجزائرى المسلم الذى حارب بعقيدة الجزائرة العربية المسلمة ، والتى أدت إلى الانتصار على دولة قوية مثل فرنسا ولكنه كلام النخبة التى تلوك الكلام ، ولم تشارك فى القتال ، ولكنها هى التى صادرت الانتصار الإسلامى العربى لصالحها ففى كل الثورات يضحى أصحاب المبادئ بأنفسهم ويبقى الانتهازيون يجنون ثمار شجرة الاستشهاد ، بعدما تكون القيادات الأصلية قد استشهدت ، وبقى الشعب وحيدًا متعبًا من مسيرة الجهاد غير عابئ بمن يحكم مادام قد تحقق الاستقلال .

وهذا هو أكبر أخطاء وخطايا الثورة الجزائرية بعد الاستقلال ، فتجاهل المرتكزات الأساسية للشعب الجزائرى وفهم شخصيته كان السبب الرئيسى للانهيار السياسى والاقتصادى الذى حدث بعد ٣٠ عامًا من الاستقلال ، برغم الازدهار الكاذب الذى حققه البترول ، والذى كان يخفى فى الحقيقة تفاعلات الغضب الشعبى ويعيد صياغة الاتجاه الإسلامى فى صورة جديدة تراعى الاستفادة من كل التجارب السابقة وأخطاء النظام ، وتوظف البنية الوجدانية والإسلامية التى أسسها عبد القادر الجزائرى وابن باديس والبشير الإبراهيمى وغيرهم من العلماء للإطاحة بالنظام القائم الذى حاول أن يتجمل بالإسلام ، بعد أن ظهرت على وجهه الشاب تجاعيد الفشل لاستغلال وعدم المصداقية ، وهو الأمر الذى رفضه الشعب الذى يعرف حقيقة وجه جبهة التحرير التى تاجرت بأحلام وأهداف وتاريخ الشعب ، ووظفت شخصيته الدينية من أجل الوصول إلى السلطة ، وعندما حققت غايتها داست هذه الشخصية وتجاهلت مقوماتها ، وفرضت نظريات معلبة ثم استيرادها من هنا وهناك ، بما لايتلائم مع الشخصية الجزائرية ، والتى لها مقومات خاصة حتى إن إسلامها جزأرته على يد الشيخ ابن باديس ، وأصبحت القومية جزءا من الدين لديها ، فالدين والقومية والوطن الجزائرى كتلة واحدة لا يمكن فصلها ، ولذلك فشلت كل تجارب حكومات جبهة التحرير التى لم تراع خصوصية الشعب الجزائرى ، الذى أطاح بها فى أول انتخابات تشريعية عام ١٩٩٢ ، وأعطى أصواته لجبهة الإنقاذ الإسلامية وهو الأمر الذى لم يفهمه بعد الساسة والمحللون ، حيث مازالوا يمارسون نفس الأخطاء فى التحليل والفهم ، ويبررون انتصار الإنقاذ بمبررات غير صحيحة البتة ، وهو الأمر الذى يعنى تفاقم الإشكالية السياسية فى الجزائر ، وانهيار هذه الجمهورية الشابة تحت معاول عدم الفهم فى التعامل مع الحدث الجزائرى .